

المحاضرة العاشرة: المقابلة النسقية الأسرية

تعتبر المقابلة قلب العمل الاكلينيكي وأحد الادوات الاساسية التي يعتمد عليها المعالج او الاخصائي العيادي للحصول على البيانات عن الحالة مما يساعده في عمليتي التشخيص والعلاج. اذن فالمقابلة من اهم تقنيات جمع البيانات التي من خلالها يسعى المعالج الوصول الى اغراض محددة، فالمقابلة النسقية تلقي الضوء على التفاعلات التبادلية والدائرية كطريقة لفهم ديناميات وسلوكات العائلة، فهي تتميز عن المقابلة الفردية من حيث انها التقاء يتم من خلال دراسة مباشرة للاتصال لدى فرد مع افراد محيطه، اذ يمكن الوصول الى تعيين انماط اتصالات لها قيمة تشخيصية، وهذا النوع من التدخل هو البحث في الحاضر أكثر من ما هو البحث عن معنى رمزي او عن الدوافع او عن اسباب مأخوذة من الماضي.

فالمقابلة النسقية العائلية تهدف الى الاجابة على فرضيات البحث المحددة كما تسمح برسم المخطط الجيلي وكذا البطاقة العائلية من خلال ملاحظة التفاعلات الدينامية، ونستخدم في المقابلة النسقية ما يلي:

التساؤلات الدائرية: تعد طريقة لإدارة المقابلة يتم طرحها من اجل توليد الكثير من المعلومات التي تهم علاقات العائلة بعضهم البعض الآخر، فهي تعد سلوك فكري يسمح بالكشف عن الفروق والتغيرات التي تؤثر في النسق العائلي. تهدف الى تحديد كيفية تطور النمط الراهن للأداء العائلي، ومتى أصبح هذا الاداء مشكلة.

الاستعارة الرمزية: يستعمل المعالج الاستعارة الرمزية كتقنية في العلاج حتى تفتح له المجال امام عدة مداخل تواصلية يمكن توظيفها بين افراد الأسرة للتعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم.

مرحلة الالتحاق والارتباط بالنسق الأسري المقابلة الأولى:

بعد أن يحدد المرشد موعد ومكان المقابلة مع الأسرة، عليه أن يعد نفسه لهذه المقابلة الأولى التي تكتسب أهمية خاصة كما ذكرنا وتحتل موقعاً فريداً و متميزاً في العملية الإرشادية أو العلاجية حيث يترتب على نتائجها أمور كثيرة بالنسبة للأسرة والمعالج معاً. وأول ما يقابله المرشد عند لقاء الأسرة، هو ذلك التوتر أو القلق الذي يعتري الأسرة والذي يمكن أن يكون متوقفاً ومفهوماً؛ لأن الأسرة لأول مرة تعامل "كمريض". وحضور الأسرة يعني من ناحية ما أنهم يظهرون حاجتهم إلى الإرشاد أو العلاج، وإذا لم يكونوا مقتنعين تماماً بذلك.

وفي كل هذه الحالات يحتاج المرشد إلى أن يمتص جو القلق والتوتر وأن يحاول إحلال روح الترحيب وأن يقنعهم بالتعاون مع شخص عرفته الظروف إلى الأسرة تعرفاً حميماً ووثيقاً، وأن الأسرة لن تخسر من هذه العلاقة.

أول ما يفعله المرشد في المقابلة الأولى بعد الترحيب بأفراد الأسرة هو أن يترك لهم حرية الجلوس، بمعنى أن يترك كل فرد يجلس في المكان الذي يريد حيث يكون المرشد قد أعد مقاعد العدد من سيحضرون الجلسة، وعليه أن يلاحظ من يجلس بجانب من لأنه قد يكتشف من الوهلة الأولى بعض التحالفات في الأسرة، وعليه أن يلاحظ أيضاً المكان الذي تركته له الأسرة، فإذا كان في مكان لا يستطيع منه أن يرى فيه كل أفراد الأسرة في نظرة واحدة فله أن يستنتج أن هذا التحديد ربما كان وراء رغبة من الأسرة في تقليص نفوذه أو تقليل مكانته ودوره، وعليه في هذه الحال أن يطلب من أحد الأفراد أن يتبادل معه مكانه، وهكذا فإنه يكون قد جابه قوة الأسرة وتحداها، وعزز هيئته بطريقة غير لفظية ولكنها مؤثرة.

ومن البداية نؤكد أن هذه المرحلة في العمل الإرشادي مرحلة تمهيد أو مرحلة اجتماعية أكثر منها مرحلة تشخيصية أو علاجية. وعلى المعالج أو المرشد أن يكتسب صداقة الأسرة وأن يحاول أن يدخل إلى النسق الأسري، وأن يتواءم مع الأسرة في إيقاعها وأسلوبها وبنائها وخصائصها اللغوية والحركية، ولكن بدون مبالغة أو افتعال حتى لا ينقلب الموقف إلى مزحة أو فكاهة أو سوء فهم من جانب الأسرة، فهذه المرحلة تشبه مرحلة بناء الألفة في الإرشاد النفسي التقليدي أو غير الأسري.

إن فلا حديث في أي مشكلة أو صعوبة تواجهها الأسرة في المقابلة الأولى، ولكن على المرشد أن يختزن في عقله كل ما يصل إليه من معلومات أو إشارات عن الأسرة وأن يمهد في نفسه للفروض العاملة التي يمكن أن تكون وراء مشكلة الأسرة. ويحاول المرشد من البداية أن يقتحم النسق الأسري وأن يلتحم به، وأن يكون نسقاً جديداً يضم الأسرة والمرشد، ويكون لهذا النسق خصائصه، ويكون له أهدافه وأساليبه المتفق عليها. ولكن على المرشد أن يندمج أو ينصهر مع النسق الأسري الذي ربما يكون منصهراً أصلاً، ولكن عليه أن يحتفظ بشخصيته كنسق فرعي داخل النسق الجديد (الأسرة - المرشد) حتى يستطيع أن يقود عملية التغيير في الأسرة، ونجاح المرشد في اقتحام النسق الأسري وتكوين ويفضل بعض المرشدين والمعالجين الأسريين بأن يقدموا في الجلسة الأولى عرضاً أو وصفاً لرؤيتهم ونظرتهم الإرشادية والعلاجية بدون الدخول في تفاصيل فنية بالطبع، بينما يفضل مرشدون آخرون أن يوضحوا طبيعة العملية الإرشادية كما يرونها ليس بالكلام ولكن بصورة أكثر عملية وإجرائية مثل التعليق على بعض المواقف والتصرفات اثناء مرحلة الاتصالات الأولية والإجراءات الإدارية التي سبقت المقابلة الأولى، وتقديم تغذية مرتدة للأسرة من خلال هذه المواقف.

وأياً كان الأسلوب الذي يتبعه المرشد ويفضله في العمل فقد قلنا أن المقابلة الأولى مقابلة اجتماعية في طبيعتها تهدف لبناء الألفة، ولبناء بعض الفروض أو التساؤلات في ذهن المرشد والتي توجه عمله في الجلسات التالية. ومن المهم أن نعرف أن الأسرة جاءت، وعلى المرشد أن يحتفظ بهذه الرغبة، بل أن يترك في نفوس أفراد الأسرة ما يقنعهم بالاستمرار في المجئ واستكمال العملية الإرشادية، ويطمئنهم في نفس الوقت أن خوض تجربة الإرشاد أو العلاج سيتطلب التغيير ولكنه ليس التغيير المدمر في حجمه أو في سرعته، وأن الأسرة عندما تقبل على الإرشاد بتقاؤل وثقة ورغبة أكيدة في التخلص من مشكلتها فإنها ستساعد المرشد كثيراً في أن يصلها معاً إلى نتائج طيبة.

الجلسة الأولى: عقدت في مكان خاص، كما يحدد المرشد من سيحضر المقابلة من أفراد الأسرة، ولا يجب عليه أن يسأل الأسرة عن سيحضر، فتحديد من يحضر المقابلات الإرشادية مسئولية المرشد وليست مسئولية الأسرة مهما كانت تعليقات الأسرة وتفسيراتها ورؤيتها للمشكلة.

- مرحلة تحديد المشكلة المقابلة الثانية:

وفي هذا المرحلة يبدأ العمل الإرشادي أو العلاجي الفعلي، فعندما تنتهي المرحلة الأولى. يبدأ المرشد ومنذ المقابلة الثانية مراحل العمل الفعلية مبتدئاً بتحديد المشكلة. ويرى كثير من الباحثين والممارسين أن خير مدخل لتحديد مشكلة الأسرة هي استعراض ودراسة وتحليل تاريخها. فتاريخ الأسرة إذن هو المدخل المناسب لمعرفة مشكلتها.

وأول ما سيواجهه المرشد في أولى جلسات العمل محاولات الأسرة لحصر المشكلة في العضو الذي حدوده كمرريض، وأنه إذا ما عولج هذا العضو فإن كل أمور الأسرة ستكون على ما يرام. وهذا هو التحدي الأول وربما الأكبر الذي يواجهه المرشد الأسري في بداية عمله مع الأسرة، ولذا تكون كل الأنظار والاهتمام موجهة إلى عضو الأسرة الذي حدد كمرريض ويتوقعون أن يتجه المرشد إليه بالأسئلة والاستفسارات. ولكي يبدد المرشد هذا الجو في الجلسة عليه أن يبدأ الحديث مع أحد الأعضاء الآخرين فإن في ذلك تخفيفاً لجو القلق ويصرف أنظار الأسرة عن تشخيصهم المشكلة. ومع ذلك فليس من السهل القيام بتغيير جو المقابلة فعلى المرشد أن يأخذ قراراً خاصاً

موضوع السؤال الأول الذي يبدأ به التعامل مع أفراد الأسرة ولمن يوجه هذا السؤال؟ وكيفية صياغة السؤال، وهي مشكلة تبدو بسيطة وسهلة ولكنها دقيقة، ويترتب عليها سير التفاعل في بقية المقابلة وربما المقابلات التالية. وفي هذا الصدد ينصح "هيلى المرشد أن عليه بعد أن يكون قد أخذ فكرة لا بأس بها عن بناء القوة في الأسرة وعن مواطن التأثير فيها خلال مراحل الاتصالات الأولية ومرحلة

الالتحاق أن يتوجه بالسؤال الأول نحو عضو الأسرة الأقل انغماساً أو ارتباطاً بالمشكلة حتى نبعد قليلاً عن جو المشكلة.

كما يرى هيلي أن العضو ذا النفوذ في الأسرة والذي لديه أكبر قدر من القوة والتأثير، والذي يستطيع أن يأتي بالأسرة إلى الإرشاد الأسري ينبغي أن يعامل بأكبر قدر من الاهتمام والاحترام.

ويمكن أن يوجه المرشد السؤال إلى الأعضاء الآخرين بشكل دائري إذا كان ذلك ضرورياً، ويقول أنه في معظم الحالات فإن العضو المحدد كمريض (س) أو الشخص الآخر سوف تتولد لديه الحاجة لأن يدافع عن نفسه أو ليوضح حقيقة مشاعره ونعود مرة أخرى إلى التساؤلات الأولية التي يبدأ بها المرشد العمل مع الأسرة وفي ذهنه عدة أمور: الأول أن يبدد جو القلق والترقب، والثاني أن يبعد التهمة" اللاصقة بالعضو الذي حددته الأسرة كمريض والثالث أن يتحدث في موضوعات أخرى غير مشكلة الأسرة بشرط الا يجعل الأسرة تهرب من المشكلة. وقلنا أن الذكريات الأسرية مدخل مناسب لتحقيق هذه الأمور، وتخلق لدى أفراد الأسرة مشاعر توحد وتعاطف مع بعضهم البعض.

ولكي يكون استرجاع الذكريات التاريخية الأسرية ممنهجاً وقابلاً للإفادة منه تقترح سووالرون - سكر " أن يعمل المرشد على تنمية شجرة للعائلة مع أفراد الأسرة، ويتشكل من ذلك رسم تخطيطي يوضح الجدول الجيلي أو خريطة الأسرة لأن هذا التحويل من الصورة اللفظية إلى الصورة المرئية الموضحة بالرسم.

وترى فرجينيا ساتر " أن على المرشد في المراحل المبكرة في الإرشاد ابتداء من المقابلة الثانية أن يعطي الفرصة لكل عضو في الأسرة ليعبر عن وجهة نظره فيما يتعلق بالمشكلة. فيستطيع المرشد أن يقيم الأنماط التي تستخدمها الأسرة في تواصلها واتصالاتها مع بعضها البعض، وأنماط تحالفاتها الداخلية، والأدوار التي يقوم بها أفراد الأسرة بالفعل بصرف النظر عن الأدوار النمطية، فقد يختلف ما يحدث عما هو متوقع. كما يحتاج المرشد أن يعرف كل ما يمكن معرفته عن النسق الأسري والمكانة التي منحها إياه هذا النسق مع بداية عملية الإرشاد، وأن يصل إلى فكرة دقيقة عن النمط الأسري الحالي الذي أمامه، وهل هو نمط مندمج أو أنه غير منتظم وذلك ليحدد نوع الاتزان الذي يحظى به هذا النسق، وهل هناك فرد في الأسرة يعتمد عليه هذا التوازن أي كمنظم وحافظ للتوازن، مثل ذلك العضو الذي حددته الأسرة كمريض؟ عن طريق قيامه بدور كبش الفداء مثلاً؟ أم أن هناك فرداً آخر في الأسرة يقوم بهذا الدور؟ أم أن هذا الدور لم يجد بعد من يقوم به، ولذا لجأت الأسرة إلى المرشد النفسي ليقوم المرشد نفسه بهذه المهمة، ويساعدهم في ايجاد من يرشح للقيام بهذا الدور؟

وينبغي أن ينتبه المرشد ليس إلى ما يقوله أفراد الأسرة فقط، ولكن إلى إشاراتهم وإيماءاتهم وتعبيرات وجوههم وحركاتهم الجسمية وأوضاع جلوسهم وغيرها من علامات اللغة غير اللفظية فهذه العلامات تقول الكثير مما يمكن أن يفيد المرشد في فهم الأسرة لتفاعلاتها.

وعلى المرشد أن يترجم الأنشطة غير اللفظية لأفراد النسق الأسري كلهم صغاراً وكباراً. والتي تبدو عشوائية لا معنى لها ولا دلالة، إلى أنماط مفهومة تعكس علاقات أفراد النسق الأسري ومشاعرهم ومخاوفهم وتحالفاتهم ومواطن القوة ومواطن الضعف لديهم. وعلى المرشد أيضاً أن يستجمع في ذهنه كل ما عرفه عن ديناميات النسق الأسري الذي يتعامل معه وأن يحاول أن يقترب من مشكلة الأسرة وبالتعاون مع أفرادها، ولا نريد أن نكرر مرة أخرى المقاومات الشعورية واللاشعورية. وعليه أن يستمر في العمل مع الأسرة وأن يسبح ضد تيارها محاولاً تحديد المشكلة بالاستعانة ببعض الأسئلة منها:

- كيف يرى كل فرد من أفراد الأسرة المشكلة؟
- لماذا تعتبر الأسرة السلوك العرضي؟ وهل هناك أحد من أفراد الأسرة لا يعتبر هذا العرض السلوك العرضي مشكلة؟ من أكثر أفراد الأسرة انزعاجاً من المشكلة؟
- كم عدد مرات حدوث العرض؟ ومتى يحدث؟ وأين يحدث؟ ومن الذي يستجيب له أولاً وبأي طريقة؟ وما الذي يحدث قبل حدوث العرض مباشرة؟ وما الذي يحدث بعده؟
- متى بدأ العرض؟ ولماذا اتت الأسرة في هذا الوقت إلى الإرشاد أو العلاج؟
- متى بدأ العرض؟ ولماذا أنت الأسرة في هذا الوقت إلى الإرشاد أو العلاج؟
- ما جوانب المشكلة التي لا يراها أفراد الأسرة ويراه المرشد؟
- من هو العضو في الأسرة الذي يحدد المشكلة لهم؟ ومن الذي يتحدث عن المشكلة في الجلسات الإرشادية؟
- ما مدى اتفاق أفراد الأسرة على تحديد المشكلة؟ وإذا لم يكونوا متفقين فماذا يحدث؟
- هل طلب أفراد الأسرة المساعدة من قبل؟ وممن؟ وكيف كانت استجابتهم لذلك؟
- هل تم طلب المساعدة من أفراد الأسرة الممتدة أو الأقارب أو الأصدقاء؟
- هل عرضت على الأسرة بعض الحلول؟ وما هي؟ وما موقف الأسرة من كل منها؟

-من أفراد الأسرة الذي يأخذ زمام المبادرة في المواقف الجديدة في الأسرة؟

مرحلة التفاعل:

وعادة ما لا تتضح المشكلة تمام الوضوح في هذه المرحلة المبكرة من العملية الإرشادية لأن المقاومات عند بعض أفراد النسق لازالت عامة وفاعلة، وسواء اتفق أفراد الأسرة على تحديد طبيعة المشكلة أم لم يتفقوا، فإن الوقت قد حان في هذه المرحلة أن يدخل المرشد إلى مرحلة التفاعل وفي خلال المرحلتين السابقتين مرحلة الالتحاق ومرحلة تحديد المشكلة كان المرشد يحافظ أو يبقى على مركزيته وتركيزه على الشبكة الاتصالية، ويتكلم مع كل أفراد الأسرة بالتناوب، ويمنع المقاطعات، وتميل هذه الإجراءات إلى تخفيض التوتر في الأسرة من ناحية وتوافر النظام والاتصال الواضح نسبياً من ناحية أخرى، وتقييم من المرشد قوة وتعمره قائداً للعملية الإرشادية من ناحية ثالثة. وإذا كان هدف المرحلة السابقة هو تمكين الأسرة من أن ترى مشكلتها على النحو الصحيح، فإن هدف هذه المرحلة (التفاعل) هو توضيح أنماط التفاعل التي أبقت على المشكلة. والمدخل الذهبي للوصول إلى هذا الهدف - كما يرى معظم مرشدى ومعالجي الأسرة - هو أن يطلب المرشد من أفراد الأسرة أن يعبر كل منهم تعبيراً غير مقيد عن نفسه، وأن يتفاعلوا بحرية وتلقائية في وجود المرشد.

وخلال هذه المرحلة يكون من المفيد للتفاعلات في المقابلة أن يتنازل المرشد عن مركز الشبكة الاتصالية، حيث كان يقوم بدور المنسق لكل الاتصالات. وعليه في هذه الحال أن يحول كل الاتصالات التي توجه له من أعضاء الأسرة مرة أخرى إلى أفراد الأسرة الآخرين.

مرحلة إقرار الهدف: بعد مرحلة الاتصالات الأولية وإجراءات إقامة أول مقابلة. وبعد إجراء المقابلة الأولى، وهي المقابلة التي يلتحق من خلالها المرشد بالنسق الأسري ليكوناً معاً نسقاً جديداً. وبعد بداية العمل الفعلي ممثلاً في محاولة تحديد المشكلة وبداية التفاعل الحقيقي الذي يهدف إلى تغيير المعتقدات والأفكار التي يقوم عليها توازن النسق الأسري، وبالتالي تغيير النسق وإقامته على أساس تفاعلات جديدة وتوازن يعتمد على علاقات سوية.

عند هذه المرحلة على المرشد أن يعقد اتفاقاً مع أعضاء الأسرة حول كيفية مواجهة المشكلة وحلها بعد تحديد معالمها، وهذا الاتفاق قد يكون مكتوباً وقد يكون شفوياً غير مكتوب. المهم أن طرفي الاتفاق المرشد من ناحية وأفراد الأسرة من ناحية أخرى يكون كل منهما على بينة بتفاصيل هذا الاتفاق وأهدافه ومراحله ووسائل تنفيذه وواجبات كل طرف وحقوقه عند الطرف الآخر، وصياغة الاتفاق تعتمد على طبيعة المشكلة وعلى أعضاء الأسرة وبنائها، وإذا أردنا نتائج جيدة فإننا لابد وأن نبدأ بداية جيدة كما يقول

"هيلي ويصوغ المرشد الاتفاق حسب طبيعة المشكلة وبناء الأسرة وعلى النحو الذي يكفل زلزلة التوازن القائم وإحلال توازن جديد

ومن أهم مهارات المرشد النفسي الأسرى قدرته على صياغة المشكلة على النحو الذي يساعد في حلها، فكثير من المشكلات يصعب إن لم يكن من المستحيل حلها ليس لأنها صعبة الحل بالفعل ولكن لأن المشكلة موضوعة في أذهان أصحابها على نحو لا ييسر الحل سواء من حيث ترتيب عناصرها، أو من حيث إدراك العلاقات بين العناصر، أو من حيث غياب بعض العناصر الهامة. وأول المداخل لفهم الأسرة لمشكلتها على الوجه الصحيح هي أن يعرف أفرادها أن طبيعة العلاقات بينهم وتفاعلهم غير السوي هو الذي أفرز المشكلة وهو الذي نمى الأعراض ليتكامل التفاعل وأن على النحو الخاطيء، أي أن التفاعل الخاطيء هو الذي جعل من ظهور الأعراض أمراً ضرورياً لأنها تؤدي وظيفة الإبقاء على شكل التفاعلات الخاطيء والذي يشبع الحاجات.